محتويات العدد١٥ لعام٢٠٠٦

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
منهج الرسول في الدعوة المرحلة المكية في ضوء الكتاب والسنة	د. سعيد عبد الرحمن القزقي	١
دعوة الاسلام الى وحدة المجتمع الانساني ونبذ الفرقة	د. طارق محمد سميان	٥٧
الادغام الكبير	د. محمد خضير الزوبعي	٩١
فقه الخلاف واثره في الواقع	د. غازي خالد العبيدي	١٢٠
مفهوم العدالة وعلاقتها بالقانون	د. محمود حسن علي	١٦٨
التفسير العلمي في القران واثره في العقيدة والفكر	د. طارق محمد سميان	١٩٥
اقسام التوحيد وانواعه عند الصوفية	د. ثائر ابراهيم الشمري	٢٢٢
اراء النحاة في الوقت والامانة في كتاب الكنز للواسطي	د. غازي خالد العبيدي	٢٦٣
فقه الامام يحيى بن معين من خلال تاريخه	د. غازي خالد العبيدي	٢٧٨
اسرار الجبال في القران الكريم	د. اسماعيل محمد قرني	٣٣٩
رواية المبتدع واثرها في اختلاف الفقهاء	د.عثمان محمد غريب	٣٦٤

دعوة الاسلا م الى وحدة المجتمع الانساني ونبذ الفرقة

للدكتور

محمود حسين علي

في العقيدة والفكر الإسلامي (عقائد – علوم اجتماعية)

جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية

مقدم إلى مؤتمر كلية العلوم الإسلامية السنوي ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:

عندما جاء الإسلام أراد أن يصنع مجتمعا نظيفا طاهرا متآخيا فمن أجل ذلك وضع أسسا في هذا الاتجاه . فلأجل أن يجمع الناس على أسمى غاية يلتقون فيها وهي توحيد الله كما قال تعالى : (فطرة الله التي فطر الناس عليها ...) وذلك على عكس ما كان عليه المجتمع العربي الذي انطلقت منه تلك الدعوة في مكة والجزيرة العربية حيث كان هناك في مكة(ثلاثمائة وستون صنما) كلُ قبيلة أو أقل أو أكثر تتخذ صنما إلآها تعبده ، فمن أولى مهامه للسعي في جمع الناس وتوحيد عقيدته ألغى جميع تلك المعبودات ووجههم إلى الله خالقها والذي يجتمع عليه كل بني آدم فرسم لهم ذلك الهدف وقال لهم : ((قولوا لا آله إلا الله تفلحوا ..)) .

ومن أجل أن يتمم ذلك نبذ جميع عوامل الفرقة وضع المباديء التي يعتمدها الناس في حياتهم كلُ وفق حقه الذي هو له لا ينازع فيه غيره ولا ينازعه فيه احد .

فمنح للناس حريتهم في دينهم وفق ذلك الهدف فقال :(لا إكراه في الدين) ولم يتدخل فيما يختارون إلا فيما يعارض الحق والواقع فيما ينازع حق الله حق الربوبية والألوهية كما هي .

ثم مهد للناس في سبل التعامل والتعايش كل الوسائل التي يتعارف عليها الناس إنها لا تتعارض فيها مصالحهم وأعتبرها حلالاً وبين أن كل ما يكون فيه تعديا لحق على آخر فردا كان أو جماعة أعتبره حراما .

فوضع حدودا لحفظ عماد حياة المجتمعات البشرية و إستمراريتها وحرم الاعتداء عليها وهي ، الدين ، العقل ، والنفس ، والعرض ، والمال.

وتبعا لذلك حرم كل الأساليب التي من شأنها تثير الفرقة والكراهية والخلاف والشقاق والتنازع والاقتتال بين الناس كالظلم والتدخل في الحريات العامة والعدوان والتجاوز على حقوق الآخرين وكل ما يشمل ذلك من القتل والدماء ووضع القصاص في أدنى شيء من هذا حتى قال : ((العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص)) .

وحرم حتى الكلام في غير حق كالغيبة والنميمة والفحش والإيذاء وحتى الظن السيء في الآخرين .

وأعتبر إن كل هذه المخالفات التي تفرق المجتمعات البشرية مخالفة للمنهج الرباني وإن منشؤها النفس والهوى فهي أنانية في الأصل قد تتخذ شكلا عنصريا وعرقيا ، أو عصبية قبلية أو حزبية أو مذهبية طائفية .

تمهيد

الحمد لله أولا وآخرا وبعد .. إن الواقع الذي عايشه الناس في ظل دولة المسلمين منذ إقامة دولة الإسلام بعد بعثة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ولأكثر من أربعة عشر قرنا نرى إنه عاش في كنف هذه الدولة الكبيرة من بلاد الصين شرقا وإلى وسط أوربا وجنوب فرنسا غربا العشرات من الملل والأديان والأجناس وممن لا يدينون بالإسلام وهم كما تحفظ لهم دولة الإسلام آمنهم وعيشهم الرغيد فهم يمارسون شعائرهم وطقوسهم الدينية بحرية كاملة ولقد أقر الكثيرون منهم بما حضي هؤلاء من الآمان والسعادة وحفظ الذمة والتكريم في ظل هذه الدولة . ذلك لان الإسلام دين يحترم الإنسان ويكرمه قال تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم) ويرسم له الحياة الطيبة الملائمة لخلقه وطبعه الذي فطر عليه ولقد رأى كتاب الغرب وعلماؤه هذه الحقيقة واعترفوا بها كما يقول جورج روبير :

(إن الإسلام ليس دينا فحسب ، أنه آخر الأديان التي ظهرت في التاريخ ، وأنه – أيضا – وبصفة خاصة مجتمع روحي واجتماعي ، ونظام سياسي، وأسلوب للعيش . ولقد أعطى الإسلام للدنيا حقها ، وللآخرة حقها ، فلا نرهق الروح على حساب البدن ، ولا نرهق البدن على حساب الروح : فالازدواج كامل بين الروحية والمادية في شخصية المسلم)[1] . والفضل ما شهدت به الأعداء ... هذا ما وددت أن أختم به بحثي ولا ازعم إني أوفيت بحقه كاملا والكمال لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد .

[1] المسلمون أمام تحيات الغزو الفكري – إبراهيم النعمة – ص٥٨ .

المبحث الاول

الإسلام يتعايش مع كافة الديانات

الإسلام الوحيد الذي فتح المجال واسعا لأصحاب الديانات الإلهية جميعا وتعامل معهم باحترام وجودهم الديني ، وفتح المجال أمامهم لممارسة طقوسهم الدينية واقرهم على شرائعهم ، ولم يفرق بينهم وبين المسلمين ، بسبب عقيدتهم والمشاركة في الحياة وتوفير الأمن والانتفاع بالخيرات والخدمات العامة ، وهذا ما عده في صريح هذه الآية الكريمة في قوله تعالى : ((لا إكراه في الدين)) [(١)].

ويقصد بالإكراه لغة : حمل الإنسان على أمر يكرهه .

وشرعا : حمل الغير على فعل بما يعدم رضاه دون اختياره لكن قد يفسده ا وقد لا يفسده من غير أن تنعدم به الاهليه في حق المكره . وان عدم الرضا معتبر في جميع صور الإكراه ، واصل الاختيار ثابت في جميع صوره [(٢)] . والمتتبع لهذه الآية الكريمة في عدم الإكراه في الدين – يجد أن سبب نزولها هو ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنة) قال : كانت المرأة تكون مقلاة [(٣)] ، فتجعل على نفسها أن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجلت بنو النظير : كان منهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل : ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) [(٤)].

[(١)] سورة البقرة الآية / ٢٥٦ .

[(٢)] اللباب في شرح الكتاب على المنتهى ، الذي صنفه أبو الحسين بن محمد القدوري البغدادي الحنفي ، حققه : د. محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة (١٩٦٣ م) ٣/١٠٧-١٠٨.

[(٣)] المقلاة لغة : هو طرف العين ما يلي الأنف وهو مجرى الدمع ؛ ينظر : المعجم الوسيط ، دار الأمواج ، بيروت ، لبنان ، إبراهيم أنيس ، عبد الملحم : ٨٥٢ .

[(٤)] تفسير ابن كثير ١ /٢٣١ .

وقال مجاهد (رحمه الله) – كان ناس مترضعين في اليهود من الاوس فلما أمر النبي بأجلاء بني النظير قال الذين كانوا مستضعفين منهم لنذهبن معهم ولندينن بدينهم ، فمنعوهم أهليهم فنزلت ((لا إكراه في الدين)).

وقال مسروق (رحمه الله) كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان منتصران إن قبل مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما وقال : لا أدعكما حتى تسلما ، فاختصموا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وانا انظر؟ فأنزل الله : ((لا إكراه في الدين)) [1] .

وعلى كل حال فأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد حسم الأمر وبينه فقال عليه الصلاة والسلام: ((قد خير أصحابكم فأن اختاروكم فلهم منكم وان اختاروهم فهم منهم قال فأجلوهم معهم))[2].

ومن هنا يقرر الإسلام انه من المستحيل واقعيا أن يسيطر على العالم دين واحد [3] .

ويؤكد ذلك قوله تعالى : ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم))[4].

وقال تعالى : ((وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين))[5] .

وقال عز وجل :((وما كان الناس إلا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون))[1] .

---

[1] تفسير البغوي ٢٤٩/١ – ٢٥٠ ، ينظر : أحكام القرآن لابن عربي ٢٣٣/١

[2] ينظر : السنن الكبرى ١٨٦/٩.

[3] القانون الدولي العام والإسلام ، المجلة المصرية للقانون الدولي ، د. محمد عبد الله دراز ، الجمعية المصرية ، القاهرة ، م٥(١٩٤٩م) ، ٤.

[4] سورة المائدة الآية /٤٨ .

[5] سورة يوسف الآية /١٠٣ .

وقوله عز وجل : ((ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)) [٢] .

وقوله تعالى : ((ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين))[٣].

وقال تعالى : ((وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر))[٤].

ولعل من ابرز أدلة الاختيار والحرية ذلك التأكيد القرآني على نسبة العمل إلى الإنسان والتصريح باختياره الكامل وإضافة الفعل إليه على وجه مطلق آبه عن الحمل والتأويل بقوله تعالى : ((كل امرؤ بما كسب رهين)) [٥].

ومما هو معلوم إن ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) من حرية للعقيدة لا يختلف عما جاء به الرسل الذين سبقوه ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : ((قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وأتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون)) [٦] .

وهؤلاء عاد قوم هود (عليه السلام) يرفضون مختارين دعوته إلى الله ويقولون له : ((قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين)) [٧].

وبعد سرد هذه الآيات الكريمات يدل دلالة واضحة على إن الأيمان لا بد أن يكون بمحض الاختيار ولا سبيل للإكراه فيه وألا كان هدرا [٨] .

---

[١] سورة يونس الآية /١٩ .

[٢] سورة هود الآيتان/١١٨ — ١١٩ .

[٣] سورة يونس الآية /٩٩.

[٤] سورة الكهف الآية ٢٩ .

[٥] سورة الطور الآية/ ٢١ .

[٦] سورة هود الآية /٢٨ .

[٧] سورة هود الآية / ٥٣ .

[٨] السياسة الشرعية ، محمد البنا ، نقلا عن د. وهبة زحيلي ، ٧٣.

وكذلك إن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والحركات البد نية المادية وهذا يظهر الإسلام رفض تحميل الاعتقاد على النفوس والختم على القلوب أمانة غريزة الفكر في الإنسان عنوة وقهرا باستخدام وسائل القهر

والإذلال سواء بالسوط أو السيف أو بالتكفير والهجرة وترك المخالطة ((١))

فحرية العقيدة هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف الإنسانية وتجب كفالتها وعدم التأثير عليها والذي يسلب الإنسان حرية الاعتقاد فكأنما سلبه إنسانيته .((٢))

((١)) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة إسماعيليان ، إيران ، ط١ (١٩٧٤م) ١٣١/٤

((٢)) د. محمد سعود المعيني

العدل في المجتمع الإنساني

لما كان الظلم من أهم أسباب الفرقة والاختلاف والتنافر بين الناس كان العدل خلاف ذلك فكان من أولى ما دعى إليه الإسلام هو تحقيق العدل والأمر بالعدالة بين الناس سواء كانوا موالين أم مخالفين .

قال تعالى : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير)) [(١)].

وهذا هو منطلق العدالة الشاملة الإنسانية في الإسلام فهي ليست عدالة اقتصادية محدودة إنما عدالة تتناول مظاهر الحياة وجوانب النشاط منها كلها ، كم تتناول الشعور والضمائر والسلوك والقيم التي تتناولها هذه العدالة ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية جميعا [(٢)].

ومن العدالة أيضا في حرية العقيدة هو احترام بيوت العبادة لغير المسلمين لذا ترى الإسلام يترك الحرية لغير المسلمين في ممارسة العبادات ثم يأمر بالمحافظة على بيوت العبادة ويحرم على المسلمين الاعتداء عليها بالهدم أو التخريب سواء في حالتي السلم والحرب ووثائق التاريخ كثيرة في وصية الخلفاء لقادة الجيوش الفاتحين والدليل المادي الملموس ببناء أماكن العبادة التاريخية القديمة لليهود والنصارى وغيرهم في معظم ديار المسلمين .

(هذا ما كتب به أبو بكر الصديق ، خليفة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، لأهل نجران أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، على أنفسهم وأرضهم وملتهم وأموالهم وحاجياتهم وعباداتهم وغائبهم وشاهدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما في تحت أيديهم من قليل وكثير ، لا يحشرون ولا يغير أسقف من اسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته وفاء

[(١)] سورة الحجرات الآية /١٣ .

[(٢)] العدالة الاجتماعية في الإسلام ، سيد قطب ، ٢٧ .

لهم لكل ما كتب لهم محمد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي عليه السلام أبدا ، وعليه النصح والصلاح فيما عليهم من حق)[1] .

وقال تعالى :((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنأن قوم على إلا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون))[2].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((من ظلم معاهدا ، أو انتقصه حقا ،أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة))[3] .

وفي رواية للطبري – في الأوسط – بإسناد حسن ، إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((من أذى ذميا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله))[4] .

إن منهج الإسلام في المعاملة الإنسانية لا يفرق بين الناس في الدين والعقيدة لذلك أوجب إقامة العدل بين جميع الناس ، وكانت هذه المعاملة الإنسانية مع غير المسلمين سببا رئيسيا في ترغيب الناس في الإسلام ودخولهم تحت راية العقيدة الإسلامية وهذه العدالة يرسمها لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله : ((عن عائشة (رضي الله عنها) إن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان لا يقتل عن أحد من أهل الشرك إلا عن أهل ذمة) [5] .

---

[1] الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ١٩١ .

[2] سورة المائدة الآية رقم ٨

[3] سنن أبي داود ، الحديث (٣٠٥٢) ، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات ١٧٠/٣ .

[4] الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد (ت ٦٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، إبراهيم شمس الدين ، رقم الحديث(٤٥٥٨) ، ٧/٤ .

[5] مجمع الزوائد ، باب القتال عن أهل الذمة ١٣/٦.

فهل هنالك عدالة أو حفظ أو رعاية أو حرية كتلك الحرية التي أعطاها الإسلام لأهل الذمة ، إذا فالعدالة هي أثر من آثار حرية العقيدة وهي لبنة من لبنات بناء الأمة أمام هذا العالم الذي فقدت فيه العدالة .

يقول البطريرك (عيشو يانه) عام ٦٥٦ هـ : (إن العرب هم الذين مكنهم الزمن من السيطرة على العالم يعاملوننا بعدالة كما تعرفون)[١] .

ويقول مكاريوس بطريرك إنطاكيا : (أدام الله بناء دولة الترك خالدة إلى الأبد فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ولا شأن لهم بالأديان سواء كان رعاياهم مسيحيين أو ناصريين يهودا أو سامرة)[٢] .

ومن أراد أن يرى حقائق التاريخ تتكلم ، فليقرأ كتاب الدعوى إلى الإسلام لا آرنولد – ففيه شهادات كثيرة إن الإسلام الذي يأمر أتباعه : ((لا أكراه في الدعوى)) سيكون أبدا الوحيد الذي يحمي الإنسان من أن يكره على ضميره أو على عقيدته فالفتح عندنا لا يعتني الإكراه .

هذه هي آثار حرية العقيدة في ديننا ندعو الأمم والشعوب أن يقيموا العدالة في مجتمعاتهم فهذه الدعوى نصها القرآن الكريم قبله (١٤٠٠ سنة) واليوم ظهر ميثاق في الأمم المتحدة يدعوا إلى حرية الدين ، وليعلم العالم إن الإسلام هو دين متفتح إنساني يعالج كل مشاكل المجتمعات .

إن الإسلام ينظر إلى جميع الناس مقررا أنهم متساوون أمام القانون، وأنه لا فرق بين غني وفقير ، ولا وزير ولا جندي[٣] ، الإسلام حين أوجب العدل بين الناس جعل لتقويمه الناس مقياسا لا يتخلف هو ((إن أكرمكم عند الله اتقاكم)) ، وقد فتح الإسلام الباب على مصراعيه لكل مظلوم ليرفع ظلامته إلى من ينصفه ويأخذ له بحقه .

---

[١] الإسلام ، سعيد حوى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ، ٢١٣ .

[٢] لا قبله .

[٣] النظام السياسي في الإسلام ، محمد عبد القادر أبو فارس ، دار القرآن الكريم ، الكويت ، ٦٠٦ .

التعايش السلمي في الإسلام

إن الإسلام الذي ظهر في القرن السابع الميلادي كان له السبق في الاعتراف بالحرية الدينية وكفالتها وحمايتها لان من تعاليم الإسلام إن المجتمع البشري متعطش إلى تلك الفطرة التي ولدت مع البشرية الأولى ولما كانت المجتمعات البشرية مختلفة كانت أديانها مختلفة وأكد ذلك القرآن الكريم بقوله :((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم))[1] .

وقوله تعالى : ((ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين))[2] . فكل مجتمع لا تكفل فيه الحرية الدينية يعد مجتمعا متعديا على حقوق الإنسان الأساسية وأبرزها ، لذا كانت حرية العقيدة إعلانا للعالم بأن الإسلام دولة سلام وآمان وتعايش سلمي مع الشعوب هو قاعدة أساسية في نظامه التشريعي قال تعالى : ((وإن جنحوا للسلم فاجنح له وتوكل على الله))[3]

وقال تعالى : ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين))[4].

لقد رفض الإسلام تحميل الاعتقاد على النفوس والختم على القلوب وإماتة غريزة الفكرة في الإنسان عنوة وقسرا باستخدام وسائل القسر والإذلال سواء بالسوط أو بالسيف أو بالتكفير الهجرة وترك المخالطة[5] .

---

[1] سورة المائدة الآية /٤٨

[2] سورة هود الآية/١١٨

[3] سورة الأنفال الآية/٦١

[4] سورة الممتحنة الآية/٨

[5] الإسلام والحضارة ، أبحاث وثائق اللقاء الرابع لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض (١٩٧٩م) ، ١٠٨ .

وهنا يقول دوبوا في كتابه انحطاط الغرب وهو يتكلم عن الإنسانية : (نحن نشكوا تجريد الإنسان من إنسانيته ويخبرنا علم الأجناس – الانترويولوجيا – إن الإنسان يكسب مشاعره الإنسانية خلال صلاته بالأحياء الأخرى من حوله وان كل أطوار النمو متكيفة دائما بالايثارات الاجتماعية التي يتلقاها خلال فترة حياته)[(١)] .

وعالمية الإسلام في دينه وحضارته وثقافته تنبع من نظرته إلى الإنسانية على إنها وحدة لا يفرقها الجنس أو اللون أو اللغة أو الإقليم كلكم من آدم وآدم من تراب ولا يعد الأمة بالجيل أو القطر بل يعد الأجيال كلها أمة واحدة تتحد في نفوس المهتدين كما تتحد في نفوس المنحرفين على أساس وحدة النفس الإنسانية في أصل تكوينها وغرائزها ومنازعها وفطرتها . [(٢)]

إن هذه هي عقيدتنا ومنهجنا في التعايش مع العالم فنحن وهم كلنا مسئولون أمام الله عز وجل أمام الخلائق لأننا من حملنا الأمانة فكان أيضا من آثار هذه الفكرة في التعايش .

وانتشار الإسلام في بيئات لا تعرف العربية وبدون دعوة منظمة وتلقفت الأقوام مبادئ هذا الدين لما آنست فيها إنها منزلة للإنسانية الحرة لا للأمة خاصة وإن كتابها لم يذكر مخاطباته امة باسمها القومي قط ، فلم يقل مرة واحدة يا أيها العرب ولكنه قال عشرات المرات يا أيها الناس يأيها المؤمنون [(٣)]

يؤكد آرنولد : (يمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب إن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس

[(١)] الإسلام والحضارة ، أبحاث وثائق اللقاء الرابع لمنظمة الندوة العالمية لشباب الإسلامي ، الرياض (١٩٧٩م) ، ١٠٨ .

[(٢)] أثر الحضارة الإسلامية في رقي البشرية ، مجموعة البحوث الإسلامية ، محمد خلف الله محمد ٤٢/١ .

[(٣)] السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ، محمد فريد وجدي ، مجلة الأزهر ، السنة العاشرة ، المجلد العاشر ، ٣٢٤ – ٣٢٥ .

إلى الإسلام محمد نفسه عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم كما أتاح لرجال الكنيسة أن يتنعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة))(١)) . وأقرب مثال اندونيسيا سادها الإسلام بالإقناع والرغبة ويبلغ عدد سكانها (٢٢٠) مليون والمسلمون فيها ٩٥% ((٢)) . ونهى الإسلام أفراده المؤمنين

مقاطعة ذوي قرباهم من المشركين ، ويطالبهم بحسن معاملتهم ففي طبيعة الإسلام أن يكل أمر الناس في سرائرهم إلى ربهم ((٣)) .

قال تعالى : ((وإن أحد من المشركين إستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون))((٤)) .

كل هذه الحقائق تبرهن على إن الإسلام دين يدعو إلى التعايش مع كل الأمم بدون استثناء ويدعوا أيضا إلى احترام الديانات وإلى حوار الحضارات وهو بذلك يرسي قواعد حرية التدين وينشر دعوته على الأمم والشعوب من خلال التعايش معهم وتبادل المعلومات والتكنلوجيا والثقافة وشتى العلوم الأخرى العلمية منها والإنسانية هذا هو ديننا .

((١)) الدعوة إلى الإسلام ، آرنولد ، سير توماس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ (١٩٥٧م) ، حسن إبراهيم حسن ، ٦٥ .

((٢)) التسامح الديني في الإسلام ، رشيد جبر الأسعد ، مجلة التربية ، عدد١٠(٢٠٠٢م) ، ٦٣ – ٦٤ .

((٣)) العدالة الاجتماعية في الإسلام ، سيد قطب ، دار الكتب العربية ، القاهرة ، ط٥ ،٩٣ .

((٤)) سورة التوبة الآية /٦ .

المبحث الثاني

الدعوة إلى الالتقاء الفكري و التطور العلمي – (الفقه أو الثقافة)

يقول أريك فرود : (إن سلامة عقل الإنسان تتطلب إشباع تلك الحاجات والميول التي يختص بها الإنسان وحده ، والتي تنبثق من موقفه من الطبيعة وبعد ذلك حاجة الإنسان إلى الاتصال بالخالق وحاجته إلى الإحساس بذاتيته إن إيجاد حل لحاجات الإنسان البشرية الخاصة به أمر بالغ التعقيد) .

وفي اعتقادنا إن أعظم مشكلات الإنسان في عالمنا المعاصر والتي تهدد صحته العقلية وقدراته الإبداعية هي افتقاره إلى الحرية[1] .

وإن التغيير في مجتمعنا لا يمكن إن يتم بدون تغيير جذري في علاقتنا مع الشعوب والأديان الأخرى بالحوار وعدم التعصب والتشنج . وتغيير أنماط التفكير في علاقتنا مع غيرنا والتحرر من نظرية المؤامرة التي طالما سيطرت على عقولنا منذ زمن وعرقلة تحركنا وتقدمنا علما إن الله تعالى قال : ((وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم)) [2].

فكيف تلتقي تلك الشعوب والقبائل والأفراد إن لم تكن حرية العقيدة موجودة في كل مكان وزمان ، فيكون ذلك الفاصل المانع الجسدي والنفسي وستتوقف عملية التطور العلمي وتتأخر عجلة الحياة الإنسانية .

إن السبب الحقيقي فيما حل أو سيحل في عالمنا الإسلامي هو (الجمود الفكري) ، فلم تنهض الأمم أيا كانت وهي تتقيد بسلاسل (الجمود الفكري) أو الخضوع المطبق للسلطة الحاكمة ، بغض النظر عن شرعيتها أو عدالتها [3] ، وجعل العلم والمعرفة أسير شهوات السلطات .

---

[1] مقدمات في دراسة المجتمع العربي ، هشام شرابي ، بيروت ، الأهلية للنشر (١٩٧٧م) ، ٤٢ .

[2] سورة الحجرات الآية/١٣ .

[3] المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المراكشي ، القاهرة(١٩٦٣م) ، د.محمد سعيد ، ٢٣٦.

قال الأستاذ أحمد أمين : (كان العلماء أحرارا في مناهجهم ونزعاتهم واتجاهاتهم ولا تتدخل السلطات ولاتحجر على حرياتهم في الاجتهاد ولم تلتزم الحكومة قانونا بعينه تفرضه على الدولة كلها ولا مذهبا معينا على الأمصار فرضا)[1] .

إسلامنا يدعو إلى الاجتهاد والتجديد ويقاوم الجمود والتقليد ويؤمن بمواكبة التطور ومواصلة التقدم وإن الشريعة لا تضيق بجديد ولا تعجز عن إيجاد حل لأي مشكلة [2] .

إن التجربة الحضارية الأوربية المعاصرة قد قفزت بالعلم بآفاقه العديدة قفزات واسعة وذلك باستفادتها من الخبرات السابقة وما أضافت إليه من تجارب العلماء والخبراء في هذا المجال وهذا النمط من السلوك مما يشجعه الإسلام ويحث أمته على المساهمة في إثراءه وتطوره . والمجتمع الإسلامي أول من استعمل العلم التجريبي للوصول إلى الحقائق العلمية ومن الجدير بالذكر هنا إن العلم والتطور ليس وقفا على حضارة ما دون أخرى أبداً إنما هو ملك لكل عقل حر وأمة ناهضة مهما كان نظامها الاجتماعي والسياسي .

إن وضوح هذا الموقف في أذهان المفكرين الإسلاميين هو الذي يدفعهم اليوم لخوض معركة المصير من أجل أن يستأنف الإسلام وجوده الحضاري في الأرض[3] .

---

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ٢٣٦ .

[2] الإسلام والعلمانية ، وجها لوجه ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ (١٩٩٢م) ، ٣٧ .

[3] الكلخانة ، المصطلح لأول دستور للدولة العثمانية طعم بالتشريعات الغربية الأوربية في زمن السلطان عبد المجيد الأول ، مجلة الوحدة ، العدد ٢٠٠(١٩٩٧م) .

كما ان النظر إلى الإسلام من الجانب العبادي والشخصي فقط او فهم الصراع مع أعداء الإسلام بأنه صراع مسلح دائما ضيع علينا في تاريخنا فرصا كثيرة لتقريب العديد من الشعوب إلى الإسلام [١] .

إسلامنا يخاطب العقل ويعتمد عليه في فهم الدين وعمارة الدنيا وهو يدعو إلى العلم والتفوق فيه كما لا يرى أي تعارض بين حقائق العلم وثوابت الإسلام فلا مجال للصراع بينهما كما حدث في ظل أديان أخرى فالدين عندنا علم والعلم عندنا دين)[٢] .

لذا أجد إن في تثبيت مبادئ حرية العقيدة و التدين في الأمة لها ثمارها في التعايش مع الأمم وتأصر العلوم وتبادل الخبرات وإنعاش الأمة بتطور الحضارات الأخرى بدون استثناء .

وانتهى المفكرون الإسلاميون في تحديد مفهوم ما هو فرض عين في العلم والتعليم هو كل ما يستغني عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب وأصول الصناعات والفلاحة والسياسة فلو خلا البلد عمن يقوم بدراسة هذه العلوم أثم أهلها أجمعون .

فالتقدم الحضاري يقتضي حتما إلا نجعل الماضي مقياسا للحاضر وكيف نجعله المقياس ، إذا كان هذا الحاضر أفضل من يحكم بفكرة التقدم نفسها النظر إلى الماضي هو النظر إلى الوراء ، على حين إن التقدم يقتضي أن نوجه النظر إلى أمام الانحصار في نمط واحد من أنماط الحضارة ، مع إن التقدم يحتم علينا الخروج من نمط أضيق نطاقا إلى نمط أوسع أفقا وأرحب أطارا[٣] .

---

[١] مسؤولية العلماء في ترشيد الصحوة وتلبية حاجاتها الفكرية ، مهدي العطار ، مقالة.

[٢] الإسلام والعلمانية ، وجها لوجه ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط٣ (١٩٩٢م) ٣٦ .

[٣] ثقافتنا في مواجهة العصر ، زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، ط١ (١٩٧٦م)

هذا هو ديننا وهذا هو منهجنا في الحياة مع الأمم الأخرى نتقارب نتحاور نتفاهم نتطور وقبله نؤسس مجتمعا خاليا من الإكراه وتزدهر الأرض وتنمو بذور المحبة والسلام .

التعايش مع مخالفي عقيدة المسلمين

نبين هنا : في التسامح مع غير المسلمين ممن خالفوا عقيدتهم والتعايش معهم . قال تعالى : ((لا إكراه في الدين)) . جاء في تفسير ابن كثير في قوله (لا تكرهوا أحد على الدخول في دين الإسلام فأنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه ولا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فأنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقصورا).

وقال الإمام الرازي (رحمه الله) : (أنه تعالى ما بنى أمر الأيمان على الجبر والقسر وإنما بناه على التمكن والاختيار ثم قال إن هذا هو المراد بأنه تعالى بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر – ثم قال أنه لم يبقى بعد إيضاح هذه الدلائل للكائن عذر في الإقامة على الكفر إلا إن يقسر على الإيمان ويجبر عليه وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء فإن في القهر والإكراه على الدين بطلان)[1] .

وجاء في تفسير الطبري : (قال يعقوب بن عبد الرحمن الزهدي قال : سألت زيد بن أسلم عن قوله الله تعالى ذكره لا إكراه في الدين . قال كان رسول الله بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوهم فأستأذن الله في قتالهم فأذن له) [2] .

---

[1] تفسير التفسير الكبير ١٥/٧ .

[2] تفسير الطبري ١٧/٣ .

ويذكر القرطبي (رحمه الله) : (لا إكراه في الدين من شاء التحق بهم ومن شاء دخل في الإسلام وهذا قول سعيد بن جبر ومجاهد) [1] .

واقعية الرأي وشمولية وحدة الفكر

إن الإحداث الجارية هي الأقرب غلى ذهن الإنسان كمنطلق لحركته في المعرفة فخاصية الواقعية في النظر ينتهي إليها العقل بالحرية في الرأي التي هى من مقتضياته الفطرية .

فإذا ما غلبت على العقل نوازع الهوى ، قيدت حريته الفطرية عن الحقيقة وقد صور القرآن الكريم مشاهد عديدة من هذه الحالة .

فقال تعالى : ((إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على الحنث العظيم ، وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ، أو آباءنا الأولون))[2] .

ثم ترى إن الله تعالى يريد أن يوقظهم من هذه الغفلة إلى النظر في واقعية والرجوع إلى اصل الفطرة الإنسانية .

قال تعالى :((أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، أفرأيتم الماء الذي تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون))[3] .

وقد كانت العقلية الإسلامية على وجه العموم عقلية واقعية إلا إننا نلاحظ اختلالا لو أمعنا النظر فيه لوجدنا إن كبت حرية الرأي هو السبب في ذلك .

---

[1] تفسير القرطبي ٣/٢٨٠ .

[2] سورة الواقعة /٤٥-٤٨

[3] سورة الواقعة الآيات /٥٨ - ٥٩ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٨ - ٦٩ .

ولكي تبنى هذه الأمة ولكي تعلوا ويعلوا شأنها فلنرجع في واقعنا الى فطرتنا وحريتنا في إبداء رأينا .

اثبات الرأي في القرآن الكريم

إن حرية الرأي هي أغلى واثمن الحريات التي يحرص عليها الإنسان وإذا نظرنا إلى حقيقة الإسلام وجدناه يترك للإنسان حرية الكلمة وإبداء وفي ذلك نصوص كثيرة منها :

قال تعالى : ((ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) [1] .

جاء في تفسير الطبري للآية قوله : (ويعني بذلك جل ثناؤه ولتكن منكم أيها المؤمنون امة يقول جماعة يدعون الناس إلى الخير يعني الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده)[2] .

وذكر القرطبي (رحمه الله) : (أن الآخرين يجب أن يكونوا عالمين أو من العلماء وليس كل الناس علماء فألا مر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا للكفاية وقد عينه الله تعالى بقوله:((الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة))[3] . وليس كل الناس مكنوا)[4] .

إما الإمام الرازي فيقول : إن هذه الآية اشتملت على التكليف بثلاثة أشياء أولها الدعوى إلى الخير ، ثم الأمر بالمعروف ثم النهي عن المنكر ، أي من تمسك بهذه الآية فهو في قوله تعالى :((وأولئك هم المفلحون)).

---

[1] سورة آل عمران الآية/١٠٤.

[2] تفسير الطبري ٣٨/٤ .

[3] سورة الحج الآية/٤١.

تفسير القرطبي ١٦٥/٤.

وقال : قال النووي :إذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند إخوانه فأعلم أنه مداهن((١)) .

والحيثيات النسبية التي يعرفها ، وعليه أن يتحرر من تقليد مواقف سالفة مارسها غيره ، فإنما رويت له السوالف لتثير تفكيره ، لا لكي يلغي تقديره الخاص ويتجرد عما حوله من حقائق لعلها غير الحقائق التي واجهها أسلافه((٢)) .

إن العمل السياسي عنصر أساسي في مفهوم العبادة في الإسلام فكيف يتأتى فصله عنه إلا إذا أمكن فصل العبادة عن الدين .

هذا هو مبدأنا الإسلامي السياسي الحر في فهم الأفكار والاتجاهات السياسية وإعطاءها حرية الكلمة لكي نتوحد ليس فكرا إنما عطاء وبناء وتقدما.

((١)) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دار الفكر ، بيروت (١٩٨٥م) ، ١٦٧/٨ – ١٦٨ .

((٢)) أصول الفقه والاجتهاد التطبيقي ، محمد احمد الراشد ، دار المحراب ، ط٢ (٢٠٠٠م)/٣٥ .

الدعوة إلى الالتقاء الفكري و التطور العلمي – (الفقه أو الثقافة)

يقول أريك فروم : (إن سلامة عقل الإنسان تتطلب إشباع تلك الحاجات والميول التي يختص بها الإنسان وحده ، والتي تنبثق من موقفه من الطبيعة وبعد ذلك حاجة الإنسان إلى الاتصال بالخالق وحاجته إلى الإحساس بذاتيته إن إيجاد حل لحاجات الإنسان البشرية الخاصة به أمر بالغ التعقيد) .

وفي اعتقادنا إن أعظم مشكلات الإنسان في عالمنا المعاصر والتي تهدد صحته العقلية وقدراته الإبداعية هي افتقاره إلى الحرية[(١)] .

وإن التغيير في مجتمعنا لا يمكن إن يتم بدون تغيير جذري في علاقتنا مع الشعوب والأديان الأخرى بالحوار وعدم التعصب والتشنج . وتغيير أنماط التفكير في علاقتنا مع غيرنا والتحرر من نظرية المؤامرة التي طالما سيطرت على عقولنا منذ زمن وعرقلة تحركنا وتقدمنا علما إن الله تعالى قال : ((وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم)) [(٢)].

فكيف تلتقي تلك الشعوب والقبائل والأفراد إن لم تكن حرية العقيدة موجودة في كل مكان وزمان ، فيكون ذلك الفاصل المانع الجسدي والنفسي وستتوقف عملية التطور العلمي وتتأخر عجلة الحياة الإنسانية .

إن السبب الحقيقي فيما حل أو سيحل في عالمنا الإسلامي هو (الجمود الفكري) ، فلم تنهض الأمم أيا كانت وهي تتقيد بسلاسل (الجمود الفكري) أو الخضوع المطبق للسلطة الحاكمة ، بغض النظر عن شرعيتها أو عدالتها [(٣)] ، وجعل العلم والمعرفة أسير شهوات السلطات .

((١)) مقدمات في دراسة المجتمع العربي ، هشام شرابي ، بيروت ، الأهلية للنشر (١٩٧٧م) ، ٤٢ .

((٢)) سورة الحجرات الآية/١٣ .

((٣)) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المراكشي ، القاهرة(١٩٦٣م) ، د.محمد سعيد ، ٢٣٦.

قال الأستاذ أحمد أمين : (كان العلماء أحرارا في مناهجهم ونزعاتهم واتجاهاتهم ولا تتدخل السلطات ولاتحجر على حرياتهم في الاجتهاد ولم تلتزم الحكومة قانونا بعينه تفرضه على الدولة كلها ولا مذهبا معينا على الأمصار فرضا)[1] .

إسلامنا يدعو إلى الاجتهاد والتجديد ويقاوم الجمود والتقليد ويؤمن بمواكبة التطور ومواصلة التقدم وإن الشريعة لا تضيق بجديد ولا تعجز عن إيجاد حل لأي مشكلة [2] .

إن التجربة الحضارية الأوربية المعاصرة قد قفزت بالعلم بآفاقه العديدة قفزات واسعة وذلك باستفادتها من الخبرات السابقة وما أضافت إليه من تجارب العلماء والخبراء في هذا المجال وهذا النمط من السلوك مما يشجعه الإسلام ويحث أمته على المساهمة في إثراءه وتطوره . والمجتمع الإسلامي أول من استعمل العلم التجريبي للوصول إلى الحقائق العلمية ومن الجدير بالذكر هنا إن العلم والتطور ليس وقفا على حضارة ما دون أخرى أبداً إنما هو ملك لكل عقل حر وأمة ناهضة مهما كان نظامها الاجتماعي والسياسي .

إن وضوح هذا الموقف في أذهان المفكرين الإسلاميين هو الذي يدفعهم اليوم لخوض معركة المصير من أجل أن يستأنف الإسلام وجوده الحضاري في الأرض[3] .

كما أن النظر إلى الإسلام من الجانب ألعبادي والشخصي فقط أو فهم الصراع مع أعداء الإسلام بأنه صراع مسلح دائما ضيع علينا في تاريخنا فرصا كثيرة لتقريب العديد من الشعوب إلى الإسلام [4] .

---

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ٢٣٦ .

[2] الإسلام والعلمانية ، وجها لوجه ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ (١٩٩٢م) ، ٣٧ .

[3] الكلخانة ، المصطلح لأول دستور للدولة العثمانية طعم بالتشريعات الغربية الأوربية في زمن السلطان عبد الحميد الأول ، مجلة الوحدة ، العدد ٢٠٠(١٩٩٧م) .

[4] مسؤولية العلماء في ترشيد الصحوة وتلبية حاجاتها الفكرية ، مهدي العطار ، مقالة.

إسلامنا يخاطب العقل ويعتمد عليه في فهم الدين وعمارة الدنيا وهو يدعو إلى العلم والتفوق فيه كما لا يرى أي تعارض بين حقائق العلم وثوابت الإسلام فلا مجال للصراع بينهما كما حدث في ظل أديان أخرى فالدين عندنا علم والعلم عندنا دين)[1] .

لذا أجد إن في تثبيت مباديء حرية العقيدة و التدين في الأمة لها ثمارها في التعايش مع الأمم وتأصر العلوم وتبادل الخبرات وإنعاش الأمة بتطور الحضارات الأخرى بدون استثناء .

وانتهى المفكرون الإسلاميون في تحديد مفهوم ما هو فرض عين في العلم والتعليم هو كل ما يستغني عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب وأصول الصناعات والفلاحة والسياسة فلو خلا البلد عمن يقوم بدراسة هذه العلوم أثم أهلها أجمعون .

فالتقدم الحضاري يقتضي حتما إلا نجعل الماضي مقياسا للحاضر وكيف نجعله المقياس ، إذا كان هذا الحاضر أفضل من يحكم بفكرة التقدم نفسها النظر إلى الماضي هو النظر إلى الوراء ، على حين إن التقدم يقتضي أن نوجه النظر إلى أمام الانحصار في نمط واحد من أنماط الحضارة ، مع إن التقدم يحتم علينا الخروج من نمط أضيق نطاقا إلى نمط أوسع أفقا وأرحب أطارا[2] .

هذا هو ديننا وهذا هو منهجنا في الحياة مع الأمم الأخرى نتقارب نتحاور نتفاهم نتطور وقبله نؤسس مجتمعا خاليا من الإكراه وتزدهر الأرض وتنمو بذور المحبة والسلام .

---

[1] الإسلام والعلمانية ، وجها لوجه ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط٣ (١٩٩٢م) ٣٦ .

[2] ثقافتنا في مواجهة العصر ، زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، ط١ (١٩٧٦م)

التعايش مع مخالفي عقيدة المسلمين

نبين هنا : في التسامح مع غير المسلمين ممن خالفوا عقيدتهم والتعايش معهم . قال تعالى : ((لا إكراه في الدين)) .جاء في تفسير ابن كثير في قوله : (لا تكرهوا أحد على الدخول في دين الإسلام فأنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه ولا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فأنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقصورا).

وقال الإمام الرازي (رحمه الله) : (أنه تعالى ما بنى أمر الأيمان على الجبر والقسر وإنما بناه على التمكن والاختيار ثم قال إن هذا هو المراد بأنه تعالى بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر – ثم قال أنه لم يبقى بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا إن يقسر على الإيمان ويجبر عليه وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء فإن في القهر والإكراه على الدين بطلان)[(١)] .

وجاء في تفسير الطبري : (قال يعقوب بن عبد الرحمن الزهدي قال : سألت زيد بن أسلم عن قوله الله تعالى ذكره لا إكراه في الدين . قال كان رسول الله بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوهم فأستأذن الله في قتالهم فأذن له) [(٢)] .

ويذكر القرطبي (رحمه الله) : (لا إكراه في الدين من شاء التحق بهم ومن شاء دخل في الإسلام وهذا قول سعيد بن جبر ومجاهد) [(٣)] .

[(١)] تفسير التفسير الكبير ١٥/٧ .

[(٢)] تفسير الطبري ١٧/٣ .

[(٣)] تفسير القرطبي ٢٨٠/٣ .

المبحث الرابع

التعايش ونبذ الفرقة في سيرة النبي (ﷺ)

إن كل ما ذكرناه ولو موجزا نجده قد مارسه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حياته وسيرته التي تمثل شريعة الإسلام كاملة وفي صورته الحية والواقعية وكما تحدث عنه القرآن الكريم في كيفية تعامله في جمع الناس وجذبهم إلى حالة التوافق والاجتماع ونبذ الفرقة والتنافر حيث قال تعالى : ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)) [1] .

ثم نجد في الوثيقة [2] التي أملاها (صلى الله عليه وسلم) بينه وبين من أرادوا عهدا موثقا يتعايشوا به تعايشا آمنا وسلميا من قريش وأهل يثرب كما في الصحيفة والتي تعتبر دستورا منصفا وعالميا وكما يلي :

أولا : هذا كتاب من محمد النبي (صلى الله عليه وسلم) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

ثانيا : إنهم أمة واحدة من دون الناس .

ثالثا : المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاملون بينهم وهم يفدون عليهم بالمعروف بالقسط بين المؤمنين .

---

[1] آل عمران / الآية ١٥٩.

[2] مجموعة الوثائق السياسية ، محمد حميد عبد الله ٤١ -٤٧ .

رابعا : وبنو الحارث (بن الخدج) على ربعتهم يتعاملون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفي عنها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

خامسا : وبنو عوف على ربعهم يتعاملون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف ، والقسط بين المؤمنين .

سادسا : وبنو ساعدة على ربعهم يتعاملون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

سابعا : بنو جشم على ربعهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ثامنا : وبنو النجار على ربعهم يتعاملون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

تاسعا : وبنو عمرو بن عوف على ربعهم يتعاملون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

عاشرا : وبنو البيت[(١)] على ربعهم يتعاملون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ألحادي عشر : وبنو الاوس على ربعهم يتعاملون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

(١) خادموا البيت الحرام

الثاني عشر : وأن المؤمنين لا يتركون مفرجا[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف ، من فداء وعقل وإن يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

الثالث عشر: وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو أبتغى وسيعة [2]ظلم أو أثما أو عدوانا أو فسادا بين المؤمنين . ،إن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم .

الرابع عشر : ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن.

الخامس عشر : ،وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

السادس عشر : وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا مناصر عليهم .

السابع عشر : وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

الثامن عشر : وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا .

التاسع عشر : وأن المؤمنين يبيء [1]بعضهم على بعض بما نال ودماءهم في سبيل الله .

---

[1] المفرج : المثقل بالدين والكثير العيال ، ينظر : الفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار المعرفة ، لبنان ، ط٢ ، علي محمد الجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/٢٦ .

[2] أبتغى وسيعة ظلم : أي طلب دفعا على سبيل الظلم ، الفائق ١/٤٢٥

عشرون : وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه ، وأنه لا يجيب مشرك مالا لقريش ، ولا يموت دونه على مؤمن .

الحادي والعشرون : وأنه من أعتبط [(٢)]مؤمن قتلا على بينة فأنه قود به إلا أن يرضي ولي المقتول (بالعقل)، وإن المؤمنين على كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

الثاني والعشرون : وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

الثالث والعشرون : وإنه مهما اختلفتم فيه من شيء فأن مرده إلى الله وإلى محمد(صلى الله عليه وسلم) .

الرابع والعشرون : وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

الخامس والعشرون : وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فأنه لا يوتغ[(٣)]إلا نفسه وأهل بيته .

السادس والعشرون : وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

[(١)] بيء : من المساواة ، ينظر : لسان العرب ١/٣٧ .

[(٢)] أي قتله دون جناية أو سبب قتله ، ينظر : لسان العرب ٧/٣٤٨ ، ينظر : الفائق ٢/٢٥ .

[(٣)] يوتغ : فسد وهلك وأثم ، ينظر : لسان العرب ٨/٤٥٨

السابع والعشرون : وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

الثامن والعشرون : وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

التاسع والعشرون : وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

الثلاثون : وإن ليهود بني الاوس مثل ما ليهود بني عوف .

الحادي والثلاثون : وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فأنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته .

الثاني والثلاثون : وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

الثالث والثلاثون : وإن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف وإن البر دون الإثم .

الرابع والثلاثون : وإن موالي ثعلبة كأنفسهم .

الخامس والثلاثون : وإن بطانة يهود كأنفسهم .

السادس والثلاثون : وإنه لا يمزج منهم أحد إلا بأذن محمد (صلى الله عليه وسلم)

السابع والثلاثون : (إنه لا يندجز على ثأر جرح ، وإنه من قتك فبنفسه قتك ، وأهل بيته ، إلا من ظلم ، وإن الله على أبر هذا)[1] .

الثامن والثلاثون : وإنه لا يأثم أمرؤ بحلفه وإن النصر للمظلوم (وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين)[2] .

التاسع والثلاثون : وإن يثرب حرام جوفها لا حل هذه الصحيفة .

أربعون : وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

واحد وأربعون : وإنه لاتجار حرمة إلا بأذن أهلها .

اثنان وأربعون : وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو إشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله والى محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأن الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره[3] .

ثلاث وأربعون : وإن بينهم النصر من دهم يثرب ، (وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها)[4] .

---

[1] على أبر هذا : على الرضا به – سيرة أبن هشام ، دار الجيل ، بيروت (١٩٨٧م) ، طه عبد الرؤوف سعد : ٨٨ .

[2] ما بين العقوقين من سيرة ابن هشام ، وقد ثبت برقم (٢٤).

[3] السيرة النبوية ، علي محمد الصلابي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (٢٠٠٥م) ، ٣٢٦ .

[4] السيرة النبوية ، علي محمد الصلابي : ٣٢٦ .

أربعة وأربعون : أ – وإذا دعوا إلى صلح يصالحون ويلبسونه فأنهم يصالحون ويلبسونه وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فأن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين . ب – على كل اناس حقهم من جانبهم الذي قبلهم .

الخامس والأربعون : وإن يهود الاوس . مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع الله المحصن من أصل هذه الصحيفة . وإن البر

دون الإثم ، ولا يكسب كاسبا إلا على نفسه ، وإن الله على ما أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

السادس والأربعون : وأنه لا يحول هذا المتاب دون ظالم أو أثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر وأتقى ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[1].

نرى إن الإسلام قد أعتبر أهل الكتاب الذين يعيشون في أرجائه مواطنين ، وأنهم أمة مع المؤمنين ، ما داموا قائمين بالواجبات المترتبة عليهم ، فاختلاف الدين ليس بمقتضى أحكام الصحيفة سببا للحرمان من مبدأ (المواطنة)[2] .

وقد أعترف اليهود في الصحيفة بوجود سلطة قضائية عليها ، يرجع عليها سكان المدينة بمن فيهم اليهود بموجب المادة (٤٢) لكن اليهود لم يلزموا بالرجوع إلى القضاء الإسلامي دائما بل فقط عندما يكون الحدث أو الاشتجار بينهم وبين المسلمين ، أما في قضاياهم الخاصة وأموالهم الشخصية فهم يحتكمون إلى التوراة ، ويقضي بينهم أحبارهم ، ولكن إذا شاءوا فبوسعهم

---

[1] مجمع الوثائق السياسية ، ٤١ – ٤٧ ، ينظر : أبن هشام ١/٥٠١ – ٥٠٤

[2] التاريخ السياسي والحضاري ، د. السيد عبد العزيز ، ١٠٢ .

الاحتكام إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد خير القرآن الكريم النبي (صلى الله عليه وسلم) بين قبول الحكم فيهم أو ردهم إلى أحبارهم[1] .

إن الصحيفة تدل بوضوح وجلاء على عبقرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في صياغة موادها التي تصلح لكل البشر على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأديانهم بالحقوق والحريات[2] .

وقيل (لا تزال المباديء التي تضمنها الدستور ـــــــــ في جملتها معمولا بها ، والأغلب أنها ستظل كذلك في مختلف نظم الحكم المعروفة اليوم .. وصل إليها الناس بعد قرون من تقريرها في أول وثيقة سياسية دونها الرسول (صلى الله عليه وسلم)[3].

يقول سعيد حوى في أساسه (هذه الوثيقة ضبطت العلاقة بين أبناء المجتمع المدني جميعه مؤمنهم ومشركهم ويهودهم)[4] .

وكان له صلى الله عليه وسلم معاهدات أخرى مع النصارى تنص على حرية العقيدة واحترام الديانات كتلك التي كتبها لأهل نجران وهذا نص الكتاب :

((بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث ، وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ، ورهبانهم ، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا شيء مما كانوا عليه ، على ذلك جوار الله ورسوله أبدا ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم و لا ظالمين))[5] .

---

[1] السيرة النبوية علي محمد الصلابي ، دار التوزيع والنشر ، ط١ (٢٠٠١م)، ٤٠٣.

[2] النظام السياسي في الإسلام ، ٦٥ .

[3] المصدر نفسه ، ٥٨ .

[4] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ٥٩ – ٦٢ ، ينظر : كتاب الخراج لأبي يوسف بن إبراهيم (ت١٨٣هـ) ، ط١ (١٣٠٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ٩١٧ .

[5] السنن الكبرى لإمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، دار الفكر ، بيروت ١٨٧/٩ .

كما كتب عليه الصلاة والسلام إلى معاذ بن جبل (رضي الله عنه) : ((لا يفتن يهودي عن يهوديته))[1] .

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى الحارث بن كعب ولأهل ملته ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية عهدا تضمن : ((ذمتي وميثاقي أشد ما أخذ الله على بني إسرائيل من حق الطاعة وإيثار الفريضة ، والوفاء بعهد الله أن احفظ أقاصيهم في ثغوري بخيلي ورجالي ، وسلامي وقوتي ، وأتباعي من المسلمين في كل ناحية من نواحي العباد بعيدا كان أو قريبا ، سلما أو حربا ، وأن أحمي جانبهم وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ، ومواضع الرهبان أو مواطن السياح ، حيث كانوا من جبل أو واد أو مغار أو عمران ، أو سهل ، أو رمل ، وأن احرس دينهم وملتهم أين كانا من بر وبحر ، شرقا وغربا ، بما أحفظ به نفسي وخاصتي، أهل الإسلام من ملتي وأن احفظهم في ذمتي وميثاقي وأماني من كل أذى أو مكروه أو مؤونة أو تبعة وأن أكون ومن ورائهم ، ذابا عنهم كل عدو يريدني وإياهم بسوء ، بنفسي ، وأموالي ، وأتباعي ، وأهل ملتي))[2] .

كما تضمن العهد أيضا : ((ولا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرها على الإسلام ولا يجادل " أهل الكتاب " ألا بالتي هي أحسن ، ويخفض لهم جناح الرحمة ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا ، وأين كانوا من البلاد))[3] .

وكتب كذلك صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم عامله على اليمن : ((وأنه من أسلم من يهودي إسلاما خالصا ودان على الإسلام فأنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فأنه لا يرد عنه))[4] .

---

[1] الأساس في السنة ، سعيد حوى ١/٤٧ .

[2] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، الحيدر أبادي ، د. محمد حميد الله ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة ، ط٢ ،(١٣٨٦ هـ -١٩٥٦م) ، ١٢٣ - ١٢٤

[3] المصدر نفسه ، ١٢٥ .

[4] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ١٤٠ .

فحرية الإسلام في العقيدة مع غير المسلمين لم يعرف التاريخ لها مثيلا فلا ظلم ولا إكراه .

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ((من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما))[1] .

وقال علي (رضي الله عنه) : (إنما دفعوا الجزية لتكن أموالهم كأموالنا ودمائهم كدمائنا)[2] .

بهذه الوثيقة الجامعة الشاملة نختتم بحثنا ونرجو أن قد أعطينا لمكان البحث حقه ولا نزعم إنا قد أوفينا تمام الوفاء فلا كمال إلا لله وحده وهو ولي التوفيق .

---

[1] مجمع البخاري ، رقم (٢٩٩٥) ، باب أثم من قتل معاهدا بغية حرام ، ٣/١١٥٥ ، ١٤٠ .

[2] المغني ، لابن قدامة ٨/٤٤٥ .

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

السنة النبوية

١- الإصابة في تمييز الصحابة – أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ – ط١٣٢٨ هـ).

٢- الدعوة إلى الإسلام ، ارنولد ، سير توماس ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ط٢ ١٩٥٧ م ، حسن إبراهيم حسن .

٣- التسامح الديني في الإسلام ، رشيد جبر الأسعد – مجلة التربية (٢٠٠٢م) العدد / ١٠.

٤- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – الإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي – دار الفكر – بيروت (١٩٨٥م) ج ٨ .

٥- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة – محمد فريد وجدي – مجلة الأزهر – السنة العاشرة م١٠ .

٦- السيرة النبوية – علي محمد الصلابي – دار المعرفة – بيروت – لبنان (٢٠٠٥م) و ط١ (٢٠٠١م) .

٧- القانون الدولي العام – المجلة المصرية للقانون الدولي – د. محمد عبد الله دراز – المجلة المصرية – القاهرة م٥ (١٩٤٩م)

٨- العدالة الاجتماعية في الإسلام سيد قطب – دار الكتب العربية – القاهرة ط٥ .

٩- العقيدة والسياسة – لؤي صافي ط١ (٢٠٠٢م) دار الفكر معالم للدولة الإسلامية ، المقدمة ١ .

١٠- النظام السياسي في الإسلام – محمد عبد القادر أبو فارس ، دار القرآن الكريم – الكويت .

١١- أصول الفقه والاجتهاد التطبيقي – محمد احمد الراشد – دار المحراب ط٢ (٢٠٠٠م) .

١٢-اللباب في شرح الكتاب على المنتهى – أبو الحسين بن محمد القدوري البغدادي الحنفي – تحقيق د.محمد محي الدين عبد الحميد ط القاهرة (١٩٦٣م) ج٣ .

١٣-المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري إبراهيم النعمة ط٢ – مطبعة الزهراء – الموصل (١٩٨٦م).

١٤-المعجم الوسيط – إبراهيم أنيس عبد الملحم – دار الأمواج – بيروت : ٨٥٢ .

١٥-أصل الحوار في السيرة النبوية – أبن هاشم – دار الجبل – بيروت (١٩٨٧م) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ج١ .

١٦-المعجب في تلخيص أخبار المغرب – المراكشي القاهرة (١٩٦٣م) – د.محمد سعيد .

١٧-تهافت الفلاسفة – الغزالي – سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق (١٩٧٤م) حققه كلود سلامة .

١٨-تذكرة الحفاظ ، أبن عبد الله شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ج١ .

١٩-ثقافتنا في مواجهة العصر – زكي نجيب محمود – دار الشروق ط١ (١٩٧٦م) .

٢٠-مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة – حيدر آبادي د. محمد حميد الله – مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة- ط٢ (١٣٨٦ هـ – ١٩٥٦م) .

٢١-مقدمات في دراسة المجتمع العربي – هشام شرابي – بيروت – الأهلية للنشر (١٩٧٧م).

٢٢-منهجية التراث الإسلامي ، مجلة الإسلام وقضايا العصر (٢٠٠٥م)/١ .